

صور من الحياة

للدكتور عبد العزيز برهام

(إن قول الحق لم يدع لي صدقاً)

(أكرم بن صبي)

لا يخرج غير الحقيقة (مثل فرنسي)

فستجلى له الحقيقة يوماً ما ، وسيربحني من تردده المل طي .
قلت : ولماذا لا تصارحه بها ؟ قال : يالك من غر ! أريد أن
أقول له إنني لا أعرف من أطباء الصحة أحداً ؟ قلت : ولم لا ؟
قال : هذه حماقة لا أرضاها لنفسى .

لم أكد أسمع منه هذا الحديث حتى بكت فاستدعيت الزائر
الذي انصرف ، وكان لا يزال على صراى منا ، وقلت له على مسمع
من الجالسين : أيها الأخ ! إن فلاناً هذا بأسف لأنه لن يستطيع
قضاء أمرك ، فهو لا يعرف أحداً من أطباء الصحة .

فوقف الرجل مشدوهاً من سماع هذه الكلمات ، وهو لا يكاد
يصدق ما يسمع ، وكأن لسان حاله يقول : فقيم إذن كانت كل
هذه المقابلات ؟ وانتفض صدقي انتفاضة تدل على الغضب البالغ
فلقد فوجئ به . قلت : ثم التفت إليّ يقول : هذا لا يليق بي أن
تقوله . هذه إهانة لا أقبلها منك . قلت : أو ليس ما قلت حقاً ؟
قال : وما كل حق يقال . قلت : ولكن هذا الرجل يجب أن
يعرف إلى أين يسير ؟ قال : لا شأن لك بي وبأموري . ثم مدّ
إليّ يده وهو يقول : وداعاً ، يا صدقي . فوَقَّفت وانصرفت وأنا
أقول : وداعاً لا لقاء بعده .

وأردت أن أتزوج ، فأوصيت كل من تصلى بهم صلة أن
يمتننوني في البحث عن « نصي الثاني » . ثم طرقت بابي ذات
مساء سيدة هي منى بمنزلة الوالدة ، ووجهها يطفئ بشراً .
وبما كادت عيناها تنفع عليّ حتى صاحت : أبشر يا صاح ! فقد
وجدت ضالتك المنشودة . إنها فتاة في ريعان الشباب ومقبل
العمر ، من أسرة كريمة ، وإن لم تكن غنية . قلت : وهل
نقلت إليهم ما تعرفين عني ؟ قالت : لقد قلت عنك كيت وكيت ،
وقلت إنك تملك خمسين فداناً . قلت : في أي بلد ؟ قالت :
لا أدري . قلت : فكيف إذن قلت ذلك وأنت تعلمين أنني
لا أملك قيراطاً واحداً ؟ قالت : أو لست جديراً بأن تملك هذا
التقدير وأكثر منه ؟ قلت : الجدارة شيء والواقع شيء آخر .
وما كان لك أن تقول غير الحقيقة .

التقيت بأصحابي « الجسد » وكان استقبال بالغ الحفاوة ،
وترحيب لا نظير له ، ثم اتفقنا على كل شيء ، ولكن ... وما
أقسى ليكن هذه ! دار بخلدني أن هؤلاء الأصهار « الجسد »

جمعتي الصدفة بصديق قديم كنت آخذ عليه دائماً إخلاف
الواعد . زرته في مقر عمله فوجدت عنده عدداً عديداً من
الزوار كلهم يرجوه في أن يشفع له عند فلان أو فلان في أمر
كذا أو كيت ، ورأيتهم جميعاً بقضاء حاجتهم ، فيخرجون
من لدنه ، وقد امتثلت نفوسهم بالآمال ، وظنوا أنفسهم
قاب قوسين أو أدنى من بلوغ المرام . ولكنهم ما كادوا يرحلون
مكتبته حتى تنفس الصعداء ، والتفت إليّ وعلى شفثيه ابتسامة
ثم قال : أفألهؤلاء الناس ! أيلظنونني عبداً مستخراً لهم ؟
ما أكثر ما هم عليه من بله ! قلت : وماذا يحملك على أن تمنهم
كل هذه الأمانى ؟ قال : وماذا يضيرني ، وقد بلغ الحق بالناس
أن يصدقوا كل ما يقال لهم ؟ أولاً يسرك أن تراه وقد خشمت
أبصارهم أمامك ، وانخفضت أصواتهم ، وبدت عليهم الذلة
والمسكنة ، وهم يضرعون إليك بالرجاء ؟ قلت : وأى لذة في هذا ؟
قال : إن فيها لذة لا يشر بها إلا من مر بمثل ما أصربه . قلت :
أما أن لك أن ترموى يا (نيرون) زمانه ؟ قال : وأنت ! أما أن
لك أن تصدق في نصعك ؟ قلت : بلى . ثم افترقنا .

انقضت ثلاثة أشهر لم أر فيها صدقي ، ثم عدت إليه أزوره ،
ولشد ما كانت دهشتي عند ما رأيت بين زواره فريقاً ممن رأيتهم
عنده من قبل يطلبون شفاعته ، وإذا به يعود فيعدهم ويمنهم .
لم أطق صبراً على رؤية هذه المسرحية الموحجة ، قلت عليه بعد أن
صرف واحداً منهم بالحسنى ، وكنت أرى في مظهره ما يستاهل
المساعدة : أتتوى حقاً قضاء حاجة هذا الرجل ؟ فقال ، وهو
يهمس في أذني : وكيف لي بقضاء ما يطلب ؟ إنه يطلب
أن أعيته في وظيفة ممرض ، وأنا لا أعرف من أطباء الصحة
أحداً . قلت : فقيم إذن كل هذه الأمانى المسولة ؟ قال : دعه ،